

موضوعات إسلامية - موضوعات مختصرة - الدرس ( ٣٠ ): أساسيات الدين ١- شرط نصر الله

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ٢٠٠٠-٠٥-٢١

### بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، و الصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين.

#### من آمن و شكر حقق الهدف من وجوده :

أيها الأخوة، من أساسيات هذا الدين أن تعلم علم اليقين حقيقة الكون، وكيف أنه مسخر لهذا الإنسان تسخير تعريف و تكريم، وردّ فعل التعريف أن تؤمن، وردّ فعل التكريم أن تشكر، وحينما تؤمن وتشكر تكون قد حققت الهدف من وجودك.

لا بد من علم يقيني حول الكون، ولا بد من معرفة يقينية حول الحياة الدنيا، إنها دار عمل، دار ابتلاء، دار تكليف، إنها ليست دار تشريف، ليست دار أمل، إنها دار عمل، فالإنسان من جهله بحقيقة الحياة الدنيا يجعلها منتهى أمله، ومحط رحاله، فيقع في خسارة لا يعلمها إلا الله عند الموت:

﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا \* الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيَّهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴾

[سورة الكهف: ١٠٣-١٠٤]

فلا بد من أن تعلم علم اليقين حقيقة الكون، وحقيقة الحياة الدنيا، وحقيقتك أنت، أساسيات العقيدة أن تعلم حقيقة الكون، وهو ما سوى الله، الكون بالقرآن؛ عبر عنه بالسموات والأرض، وحقيقة الحياة الدنيا التي أنت فيها، وحقيقة الإنسان، هو المخلوق الأول والمكلف، الآن حينما تعلم حقيقة الكون، وحقيقة الحياة الدنيا، وحقيقتك، تستنبط أن مهمتك الأولى في هذه الدنيا؛ العمل الصالح بعد الإيمان طبعاً، بعد أن تؤمن بالله موجوداً، وواحداً، وكاملاً؛ مهمتك الأولى أن تعمل عملاً صالحاً، يكون ثمناً لجنة عرضها السموات والأرض إلى أبد الأبد.

#### بطولة المؤمن أن يعمل عملاً يستمر بعد موته :

الآن أي إنسان على شيء من العلم؛ يجعل العمل الصالح ديدنه وهدفه الأول، هو يعمل عملاً يصلح للعرض على الله عز وجل، الآن المؤمنون يتفاوتون، لا في أنهم يعملون الصالحات، كلهم يعمل صالحاً، ولكنهم يتفاوتون في تسابقهم إلى أعظم الأعمال الصالحة.

الحقيقة يقول عليه الصلاة والسلام:

(( إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم يُنتفع به، أو ولد صالح يدعو له ))

[ مسلم عن أبي هريرة ]

الآن بطولة المؤمن ليس أن يطعم فقيراً، ليس أن يعطي صدقة، ليس أن يرعى يتيمًا، بطولة المؤمن أن يعمل عملاً يستمر بعد موته، تعد الأعمال المستمرة بعد الموت من أعظم الأعمال على الإطلاق؛ إنسان ترك كتاباً في التفسير فرضاً انتفع منه مئات مئات الألوف من الدعاة إلى الله وقد مضى على موته ألف عام، هذا عمل، ترك ولداً صالحاً يدعو له، ترك صدقة جارية، بنى مسجداً، بنى ميماً، بنى مستشفى، بنى مدرسة شرعية، ترك عملاً، لذلك سيدنا عمر له مئة سهم في خيبر، جاء النبي عليه الصلاة والسلام قال: " يا رسول الله إن هذه المئة سهم في خيبر هي من أعجب الأموال إلي - أي من أنفسها عندي - وأنا أريد أن أتصدق بها، فقال عليه الصلاة والسلام: احبس الأصل وسدد الثمر".

هذا الوقف... أنا كنت في الأيام الثلاث في الأسبوع الماضي في مؤتمر الوقف الإسلامي، عقد في دمشق، وكان لي دور فعال فيه - الحمد لله - في هذا المؤتمر وأقيمت كلمة مهمة جداً، أنا أقدم لكم بعض ما في هذه الكلمة: أصل الوقف أن النبي عليه الصلاة والسلام قال له: احبس الأصل وسدد الثمر. لذلك أصحاب رسول الله أجمعين بما فيهم الصديق وسيدنا عمر وعثمان وعلي والتابعين كلهم وقفوا بعضاً من أموالهم اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم، صار صدقة جارية، فأنت اسع إلى عمل لو أن الأجل قد انتهى العمل مستمر.

الآن المؤلفات القيمة في الإسلام، مثلاً رياض الصالحين للإمام النووي؛ أليس هذا صدقة جارية؟! لا يوجد بيت إلا وفيه رياض الصالحين، لا يوجد بلد إسلامي إلا وفيه رياض الصالحين، مغني المحتاج للإمام النووي، شرح صحيح مسلم، الإمام مسلم، الإمام البخاري، هناك علماء كبار تركوا مؤلفات ينتفع بها المسلمون، كل ساعة في أي مكان في العالم؛ هذه صدقة جارية.

ما تمكنت من أن تترك مؤلفاً علمياً، ولداً صالحاً، حينما تحرص على تربية ابنك حرصاً شديداً، تربي إيمانه، تربي خلقه، تربي عقله، تربي جسمه، تعنتي به إلى أن يصبح هذا الابن رجلاً صالحاً يدعو لك من بعدك، هذا صدقة جارية.

### أبواب العمل الصالح لا تعد و لا تحصى :

كنت في لبنان مرة، الإذاعات كثيرة في لبنان، استمعت إلى درس لأحد العلماء الذين توفاهم الله قبل سنة تقريباً، قلت: سبحان الله! إنسان تحت أطباق الثرى، إنسان لعله فني جسمه، أو ذهب

معالم جسمه، وصوته يصدح كل مكان، كل يوم في أي مكان؛ هذا عمل صالح. فابحث عن عمل صالح بعد موتك.

فيا أيها الأخوة أبواب العمل الصالح لا تعد ولا تحصى، سمعت مما سمعت في هذا المؤتمر أنه يوجد وقت لإصلاح ذات البين؛ أي علماء، خبراء اجتماعيون، علماء دين لهم مكاتب، حوالي ستمئة أسرة على وشك الانفصال والطلاق، رثب الصدع، واستمرت الحياة الزوجية بنصيحة خبراء، وبوساطة أولياء، فالأمر استمر، هذا عمل صالح، خمسمئة وست وثمانون أسرة على وشك الطلاق، عاد الوثام بين الزوجين.

سمعت نماذج من الأعمال الصالحة عن طريق الوقف الإسلامي، لا يصدق الأمر، وقف مثلاً لتحبيب المطالعة إلى الصغار؛ يأتون بمؤلفين كبار، يؤلفون قصصاً مصورة فيها ترسيخ للقيم الإسلامية، توزع هذه القصص على البيوت مجاناً، كيف يوزعون الدليل مجاناً لأسباب تجارية هناك من يوزع مثل هذه الكتيبات على الأطفال مجاناً. أي يوجد دعوة إلى الله، يوجد أمر بالمعروف، هكذا سمعت في هذه البلدة الطيبة التي ذكر النبي عنها ما ذكر، قال:

**(( إني رأيت عمود الكتاب انتزع من تحت وسادتي، فأتبعته بصري فإذا هو نور ساطع عمد به**

**إلى الشام، ألا وإن الإيمان حين تقع الفتن بالشام ))**

[ الطبراني والحاكم عن ابن عمرو ]

إنسان في إحدى قرى الغوطة، هو رجل ميسور الحال، أنشأ بناءين ضخمين، وأوقفهما لتزويج الشباب الفقير، البيت لا يباع، يؤجر بأجر رمزي، يدفع ألفين فقط بالشهر، كي يؤمن مصاريف البناء، ومصاريف صيانتها، إذاً هذا عمل صالح، أما أنا الذي دهشت له فأن الصغار لهم أوقاف، يوقفون أموالهم، كيف بمشروع خيري السهم بمئة ليرة، يستطيع الطفل من خرجيته أن يدخل بسهم أو سهمين، فمعنى ذلك أن الطفل صار له عمل صالح مستمر. فالمؤمن بعد أن يعرف الله ليس لديه هم يفوق عملاً صالحاً يلقي الله به، والطرائق إلى الخالق بعدد أنفاس الخلائق، أي أنت في المنزل لديك عشرات الأعمال الصالحة، أعظم عمل تربية أولادك، أنت عندما تضحى وتجلس مع ابنك، تؤانسه، تنصحه، إن أخذته نزهة لك أجر، إذا ألبسته ثياباً جديدة، إذا أطعمته أكلة يحبها، إذا ربطته بك ليستمع إليك، إذا كفيته يستمع إليك، فإذا لم تكفه استمع إلى أصدقائه الذين ينفقون عليه. فأنت حينما تكسب المال الحلال، وتطعم أولادك طعاماً طيباً، تلبسهم، تسهر معهم، تأخذهم معك، أنت تقوم بعمل لا يفنى عند الموت، هذا ابنك صار له ولد صالح، يدعو إلى الله من بعدك، صار صدقة جارية.

أنا هكذا أقول لبعض الأشخاص الذين لهم أولاد متفوقون، أقول له: أنت لن تموت، ولو جاء الأجل لن تموت، لأن ابنك استمرار لك. والله مرة كنت في تعزية، أحد علماء دمشق الأجلاء - توفي رحمه الله - فكانت التعزية في الأموي، فأسمعونا آخر خطبة له، كان له خطبة في الأموي، أثناء التعزية ألقى كلمات، وأسمعونا آخر خطبة له، بعد أن انتهت الخطبة، ألقى أحد العلماء

كلمة، وعالم ثان كلمة، وعالم آخر كلمة، ثم وقف وزير الأوقاف وألقى كلمة، قال: أنا إكراماً للمرحوم العالم الجليل سأعين ابنه خطيباً في الأموي، معناها ما مات، هذه الخطبة مستمرة؛ ابنه، فهو لم يموت، هذا كم تعب عليه؟ طبعاً قام ابنه وألقى كلمة والله أنا بكيت، شاب مهندس ألقى كلمة رائعة في صياغتها وفي معانيها، أي أنه قد تعب عليه كثيراً، تعب عليه بالعلوم الدينية، علمه قراءة القرآن، والأحاديث، والفقه، فأنت إنسان عظيم ولو كانت مرتبتك الاجتماعية بائع متجول لا يهم، أنت كبير عند الله. أنت حينما تربي ابنك إذا أنت تعمل عملاً لا ينتهي عند الموت؛ بل يستمر.

مثلاً ألا يوجد كم إنسان غني يعملون صندوقاً للقرض الحسن دون ربا بدون بنوك؟ سهلة جداً، لكن نحن مقصرون، وكسالى. صندوق، إنسان لزمه ثلاثين ألفاً، عشرة آلاف، بتوثيق، بضمانات، بورقة طابو، شيء مرتب، سمعت أن هذا الصندوق بعدة بلاد إسلامية مؤسس، صندوق القرض الحسن، صندوق العناية بالقرآن، صندوق العناية بالمساجد، صندوق العناية بالأطفال، صندوق التوعية المرورية، صدقوا بالأوقاف لأنه لدينا حوادث مرور كبيرة جداً – تجد باصاً قضى على ثلاثين راكباً لأنه جاهل، هذه حياتنا، حياتنا السيارات، فالدين له علاقة بالحياة، أنا أدعو إلى دين هو الحياة، ليس دين بالكتب الصفراء، نحن نحيا حياة، نحتاج إلى مسكن للشباب، نريد أن نزوجهم، نحتاج إلى طبابة مجانية، نحتاج إلى مكتب زواج، نحتاج إلى مكتب عمل... إلخ، هذا الدين، فيجب أن يتفتق ذهن المسلم عن عمل صالح، وليس كل عمل يحتاج مالاً يا أخوان؛ مثلاً السهم من له الأجر؟ قال: الذي صنعه، والملقن، والرامي، الثلاثة لهم أجر، الذي صنع السهم له أجر، والذي يلقن له أجر، والرامي له أجر.

إنسان عمل وليمة لله، من له الأجر بالوليمة؟ صاحب البيت – أمر الصرف- والزوجة التي طبخت الطبخ، منذ يومين لم تتم – تجهز الطبخ – والأولاد الذين أحضروا الطعام من السوق، أتوا بالخضار، والفواكه، والله كريم؛ يعطي الكل، يعطي كل إنسان، فنحن بعد أن عرفنا الله عز وجل أنه إله عظيم، خلقك لجنة عرضها السموات والأرض، لدينا مشكلة، يجب أن تعمل عملاً يبقى بعد موتك، عملاً صالحاً يذكره الناس من بعدك، هذا السلف الصالح.

### أفضل الأعمال الأعمال المستمرة :

معي إحصائية لكن من الصعب أن تصدقوها، تكاد تكون تسعة أعشار أرض سورية أوقاف، هناك قرى بأكملها أوقاف، كلها خيرية، كم كان أجدادنا يحبون الخير أما نحن فالإباب مفتوح، هذا مثال معاصر؛ أحد أخواننا الكرام رئيس جمعية خيرية التقى بمحسن كبير أوقف بيتاً في أحد أرقى أحياء دمشق، ماذا فعل بهذا البيت؟ البيت يقارب سعره عشرة ملايين، قال: هذا لله، أصلح البيت وجعله مركز تأهيل مهني للفتيات الفقيرات، أحضروا هيئة تدريس من أعلى مستوى، ماكينات

خياطة، ماكينات حبكة، وأحضروا وسائل حديثة للتعليم على الطريقة الحديثة، وعلّموا هذه الفتاة الفقيرة، كانت تذهب إلى الجمعية تمد يدها، نريد بالشهر ألفي ليرة، كادوا يجعلونها شحاذة، علّموها ستة أشهر أعطوها ماكينة خياطة لمنزلها، أعطوها أقمشة، صنعوا هذه الألبسة، اشتروها منها، كانت شحاذة متسولة أصبحت منتجة، أطعمت نفسها وأهلها و أولادها، كانت قابضة للزكاة أصبحت دافعة للزكاة، هذا الذكاء، ليس موضوع أن تعطيه مئة ليرة وتقول له: كلُّ بها، أطعمتهم، هات أيضاً، أكل، هات أيضاً؛ ليس لها نهاية هذه القصة، لأنه أصبح شحاذاً، إن لم يكن لدينا تفكير جيد يصبح الفقراء شحاذين بالعالم، والمفروض أن يكون الفقراء منتجين، أي كل واحد إن قدر أن يساهم بعمل، عمل طيب، أي أعظم عمل أن ربّ أولادك، تطرح للسوق أولاداً صالحين، صادقين، أمناء، مستقيمين، مثقفين، هذا أعظم عمل. مثلاً استطعت أن تساهم ببناء مسجد، بمعهد شرعي، أحدهم قدم أرضاً بأطراف دمشق سعرها أربعون مليوناً، قدمها لتكون ثانوية شرعية، عمل عظيم، قدم أربعين مليوناً لله، أي يوجد أعمال جليّة. قلت لكم هذه القصة كثيراً: إنسان أراد أن يعمر مسجداً في نهر عيشة، كلف مهندساً من إخواننا، وجد أرضاً مناسبة قد ورثها آذن مدرسة منذ شهر، لديه ثمانية أولاد، معاشه أربعة آلاف، أتى المحسن الكبير الذي ثروته تقدر بمئتي إلى ثلاثمئة مليون، فوجد أن الأرض مناسبة وسعرها مناسب، عمل له شيكاً بمليون ليرة، أعطاه لصاحب الأرض كدفعة أولى، فسأله والبقية متى؟ هو آذن مدرسة، فقال له: البقية عند التنازل، قال له: أين التنازل؟ قال له: بالأوقاف. قال له: ولم الأوقاف؟ قال: سنبنّيها جامع، قال له: جامع؟؟ فحمل الشيك ومزقه، قال: أنا أولى منك بتقديهما لله، خجل أن يبيعهما وتصبح جامعاً. يقول هذا الغني الكبير - وهو الآن طريح الفراش عافاه الله - بحياتي ما صغرت أمام إنسان كما صغرت أمام هذا الآذن، لأنه لا يملك شيئاً بحياته غير هذه الأرض، يعيش على أربعة آلاف ولديه ثمانية أولاد، فلا نريد عملاً يا أخوان يكون هكذا... إذا إنسان أتاه ملك الموت يجد وجهه أبيض، والله عند الموت يأتي الإنسان آلام تنسيه حليب أمه.

الآن إنسان جالس في المنزل وأولاده بجانبه وزوجته بجانبه، وعندما يأتيه النزع الأخير، آخرته إلى هذه الحفرة، الأمر ليس سهلاً يا أخوان، ليس سهلاً أبداً.

### والحمد لله رب العالمين